يحفظوها من الإبسال والهلكة . ولا نريد من مقالنا هذا ان تخرج الامة عليهم فان هذا يكون عوناً للاجانب على سرعة الإجهاز علينا ولكننا نريد ان لا تعتمد الامة عليهم بل تسعى بكل مافي طاقتها لتحصيل العلوم النافعة والثروة الواسعة والتربية الرافعة فمن كان من امرائهم محسناً كانت الامة عوناً له اذ هي قوام الملك وعماده ، وعدته وعتاده ، ومن كان مسيئاً جبروا نقص اساءته بإحسانهم حتى اذا صاروا أمة حقيقية لها رأى عام قوّموه أو قوّموا خلفه بتقييده بالشرع والشورى سالكين في ذلك الطرق الحكيمة التي لا تخشى مغبتها ، ولا تحذر عاقبتها ،

﴿ باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشير في هذا الباب ما يعرف به المسلمون اصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه « الامراء والحكام — بلاء الامة بهم »

(٢٢) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ان الله تعالى زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها وأُتي أعطيت الكنزين الاحمر والابيض. وانى سألت ربي تعالى لامتي ان لا يهلكوا بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوًّا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي عز وجل قال : يامحمد انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد وانى اعطيتك لامتك أن لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوًّا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَن بين اقطارها حتى يكون بعضهم يفني بعضاً . وانما اخاف على امتي الأئمة المضلين ، الحديث .

(٢٢) رواه احمد ومسلم وابوداود والترمذي وابن ماجه عن ثوبان

السنة القحط والبيضة حوزة الشيء وأصل القوم ومجتمعهم وعشيرتهم ويقال لجماعة المسلمين بيضة الاسلام . واذا سألنا التاريخ يخبرنا بان الاجانب لم يستولوا على بلاد إسلامية ولم يستبيحوا بيضة طائفة من المسلمين الا بمساعدة المسلمين فأهل مراكش كانوا عوناً لفرنسا على أخذ الجزائر والافغانيين اعانوا الانكليز على الهنود والجند المصري فتح السودان ورفع الراية الانكليزية عليه . وما كان المسلمون ليفعلوا هذا الا بأمر أئمتهم اى امرائهم ولذلك كان يخاف النبي عليه السلام على امته الائمة المضلين

(٢٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « لست أخاف على امتي غوغاء تقتلهم ولا عدوًّا يجتاحهم ولكني اخاف على امتي أئمة مضلين ان أطاعوهم فتنوهم وان عصوهم قتلوهم » . فى هذا الحديث شيء من بيان معنى الخوف فى الذي قبله . ومن البلاء أننا لا نرى أميراً مسلماً ينزع من نفسه عن الاستبداد ويقيد نفسه بالشرع والمشاورة حتى تكون الاجانب هى التى تقل يده وتقيده

(٢٤) وقال (ص) : « لا تبكوا على الدين اذا وليه اهله ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير أهله » وقد عرفنا اهله من الاحاديث التى أوردناها فى الجزئين السابقين من المنار

(٢٥) وقال (ص) : « لكل شيء آفة تفسده وآفة هذا الدين ولاة السوء » وذلك انهم يستعينون على افساده بعلماء السوء الذين يفتونهم بما يهوون ويعظمونهم على ظلمهم وفسقهم فيقتدى الناس بهم فيفسد عليهم دينهم

(٢٣) رواه الطبرانى عن ابى امامة (٢٤) رواه احمد والحاكم عن أبى ايوب

(٢٥) الحارث عن ابن مسعود

(٢٦) وقال (ص) : « صنفان من امتي اذا صلحوا صلحت الامة الامراء والفقهاء » وهذا مؤيد لتفسير الحديث قبله

(٢٧) وقال (ص) : « لايزال هذا الامر فيكم وانتم ولاته مالم تحدثوا اعمالاً تنزعه منكم فاذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شرار خلقه فالتحوكم كما يلتحى هذا القضيب » وهذا تصريح بان الملك لاينزع من المسلمين الا بواسطة امراء السوء ولكن الأمير مهما كان ظالماً لايعدم أعواناً يحسنون عمله وينشون الامة به مادام أميراً فلا تظهر سيئاته للناس كلهم الا بعد موته يوم لاينفعهم ظهورها ولو شئنا لذكرنا شهادات التاريخ الماضى . وتاريخ هذا العصر الجرائد واكثرها خاطئة كاذبة ، ممالئة موارية ،

(٢٨) وقال (ص) : ان الامير اذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم » وهذا الحديث مختصر مما بعده ومصداقه ظاهر مشاهد

(٢٩) ستكون من بعدي امراء فادّوا اليهم طاعتهم فان الامير مثل المجنّ يتقى به فان صلحوا واتقوا امروكم بخير (وفى نسخة بمعروف) فلكم ولهم وان أساؤا وامروكم به فعليهم وانتم منه براء وان الامير اذا ابتغى الريبة بالناس أفسدهم » اي هذا شأنه ومن طرق الافساد مايبينه الحديث الآتى . وقوله عليه السلام فلكم ولهم ظاهر فان سعادة الامير على حسب سعادة الرعية وفى الحديث تقديم ذكر الرعية على ذكر الامير لانها الاصل

---

(٢٦) ابو نعيم في الحلية وابن النجار عن ابن عباس (٢٧) احمد والطبرانى والحاكم عن ابى مسعود الانصارى (٢٨) ابو داود عن جبير بن نفير وكثير بن مرة والمقدام وابى امامة (٢٩) الطبرانى عن شريح بن عبيد . قال اخبرنى جبير بن نفير وكثير ابن مرة وعمرو بن الاسود والمقدام بن معديكرب وابو امامه .

واما قوله عليه السلام « فعليهم » اي اذا لم تطيعوهم كما هو الحكم الشرعي وذكرنا بعض الاحاديث فيه من قبل

(٣٠) وقال (ص) : « انك اذا ابتغيت عورات الناس افسدتهم اوكدت أن تفسدهم » ومن امرائنا من يتخذ العيون والجواسيس للبحث عن عيوب الناس وتتبع عوراتهم وقد افسدوا بها كثيراً وأضلوا كثيرا

(٣١) وقال (ص) : « سيكون بعدي سلاطين الفتن على ابوابهم كمبارك الابل لا يعطون أحداً شيئاً الا اخذوا من دينه مثله »

(٣٢) وقال (ص) : « اذا كانت امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها . واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نساءكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها » اى فعليكم ان تستميتوا فى نصر الحق وتأييده غير وجلين من الموت لأنه خير من حياة كهذه .

(٣٣) وقال (ص) : « ستكون امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن ناواهم نجا ومن اعتزلهم سلم اوكاد ومن خالطهم هلك » . ناواهم أى عاداهم أو عارضهم وفى رواية نابذهم قال العلماء : يجب الانكار على من أمن على نفسه فان خاف ان يقتلوه يسقط الوجوب ويبقى الجواز فان قتل فتلك الشهادة الفضلى وورد فى الحديث ما يؤيد ذلك . وقال فى المعتزل « سلم أوكاد » لأن اعتزالهم قد يتضمن إقرارهم على ماهم فيه من الجور والمنكر .

---

(٣٠) رواه ابوداود عن معاوية (٣١) الطبرانى والحاكم عن عبدالله ابن الحرث مرفوعاً وله شواهد موقوفة ومرسلة (٣٢) الترمذى عن ابي هريرة (٣٣) ابن ابي شيبة عن ابن عباس

واعظم الجور ان تكون سلطتهم فوق شرع الله تعالى. قال الغزالي في المنقذ: سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب ان نزل بعمّه معهم

(٣٤) عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: « كيف بك يا أبا عبد الرحمن اذا كان عليك امراء يطفئون السنة ويؤخرون الصلاة عن ميقاتها » فقلت فكيف تأمرني يارسول الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يسألني ابن أم عبدٍ كيف يفعل لا طاعة لمخلوق في معصية الله » وقد أطفأ امراؤنا من عدة قرون السنة حتى خرجوا عن هديها في الغالب واحيوا في هذا الزمان سنة الافرنج حتى التهتك الذي يفسد أخلاق الأمة كالمراقص وما في معناها وقصورهم حانات خمور يتقربون بذلك الى الافرنج الا من عصمه الله تعالى (راجع حديث ٢٥)

آثار السلف . عبرة للخلف

(١) روى ابو بكر بن أبي شيبة والبخاري والدارمي والحاكم والبيهقي في السنن عن قيس بن ابي حازم قال: « دخل ابو بكر على امرأة من احمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال مالها لا تتكلم فقالوا حجت مصمتة فقال لها: تكلمي فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية. فتكلمت قالت: ما بقاؤنا على هذا الامر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ * قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم. قالت وما الائمة؟ قال: أما كان لقومك رؤس واشراف يأمرونهم ويطيعونهم؟ قالت بلى. قال فهم امثال اولئك يكونون على الناس ». ما كانت هذه

(٣٤) عبد الرزاق في الجامع واحمد (*) بعد النبي متعلق ببقاؤنا

الاعرابية الفاضلة تعلم أن سيكون للمسلمين مدنية لها رؤساء مكلفون باقامة شعائر الدين والقيام بشؤن النظام العام فضرب لها المثل برؤساء القبائل فى بداوة الجاهلية

(٢) روى البيهقي عن ابن اسحاق قال فى خطبة ابى بكر يومئذ (أي يوم البيعة) : « وانه لا يحل ان يكون للمسلمين أميران فانه مهما يكن ذلك يختلف امرهم واحكامهم وتتفرق جماعتهم ويتنازعون فيما بينهم . هنالك تترك السنة وتظهر البدعة وتعظم الفتنة وليس لاحد على ذلك صلاح . وان هذا الامر فى قريش ما اطاعوا الله ورسوله واستقاموا على امره قد بلغكم ذلك وسمعتموه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين »فنحن الامراء وانتم الوزراء اخواننا فى الدين وانصارنا عليه .

« وفى خطبة عمر بعده : نشدتكم الله يامعشر الانصار ألم تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او من سمعه منكم وهو يقول .« الولاة من قريش ما اطاعوا الله واستقاموا على امره » . فقال من قال من الانصار بل الآن ذكرنا — قال فانا لا نطلب هذا الامر الا بهذا فلا تستهوينكم الاهواء فليس بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون . »

اذا كان شرط بقاء الامر فى قريش طاعة الله ورسوله والاستقامة على ذلك فمن اين جاءت لمن عداهم السلطة المطلقة التى يضعون بها القوانين المخالفة للشرع ويصدرون الأوامر بالعفو عمن أمر الله باقامة الحدود عليهم ؛ ولماذا يطبق المتصرون للدين بالقول الآيات الواردة فيمن لم يحكم بما انزل الله على القضاة وحدهم وينسون الامراء والملوك الذين شرعوا لهم

ما لم يأذن به الله وولوهم القضاء والزموهم الحكم بتلك القوانين ؟

(٣) « روى البخاري وابو عبيد وابن سعد والبيهقي عن عائشة قالت : لما استخلف ابو بكر قال : لقد علمت قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة اهلي وقد شغلت بأمر المسلمين فيأكل آل ابي بكر من هذا المال وأحترف للمسلمين فيه »

(٤) « روى ابن سعد عن عطاء ابن السائب قال : لما بويع ابو بكر أصبح وعلى ساعده أبرادٌ وهو ذاهب الى السوق . فقال عمر اين تريد ؟ قال السوق. قال تصنع ماذا وقد وليت امر المسلمين قال فمن اين اطعم عيالي؟ فقال عمر: انطلق يفرض لك أبو عبيدة . فانطلقا الى ابي عبيدة فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا بأوكسهم وكسوة الشتاء والصيف اذا أخلقتَ شيئاً رددته واخذت غيره » . في هذا الأثر فوائد جمة منها فضل الاحتراف الذي ترفع عنه كبراؤنا حتى افتقر كثير من البيوتات لذلك . ومنها ان الحاكم العام ليس له ان يحترف لئلا يشغله ذلك عن المصلحة العامة . ومنها ان سنة الراشدين ان لا يفرض الامام الاعظم لنفسه شيئاً حتى تكون الامة هي التي تفرض له وعليه الرضى بحكمها . ومنها ان العدل ان يُفرض له ما يكفي للمعيشة المتوسطة بالنسبة الى صنفه فيكون قريباً من كل طبقات الامة في حاله . من اعطى امراء المسلمين بعد ذلك ان يأكلوا أموال الامة بغير حساب ويهبوا منها بحسب اهوائهم وشهواتهم ؟ . ايصح ان يكون رئيس جمهورية سويسرة وقومه أقرب الى العمل بسنة سلفنا من ائمتنا وامرائنا إذ فرضت له الامة راتباً يكفيه ان يعيش كالمتوسطين في بلده . ومن ذلك انه يركب في الدرجة الثانية اذا اراد السفر وقد

اشترطت الامة عليه ذلك فاذا خالف لا يعيدون انتخابه — ديننا وضع هذه الاصول الإصلاحية وغيرنا يتمتع بسعادة العمل بها ويفوز بثمراتها . ونحن نقدس امراءنا الذين اضاعوها ونقول لجهلنا : ما بالنا ننكسر والاجانب ينتصرون ، ما بالنا نذل وهم يعزون ، ما بالنا نفتقر وهم يستغنون ، ما بالنا نستعبدُ وهم يسودون ، « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » القرى الامم والمراد بالظلم الشرك والكفر كما ورد في الحديث الصحيح وقد اوضحنا اسباب هلاك الامم بالعقل والنقل في المجلد الأول من المنار فليراجع

(٥) وفي رواية البيهقي عن الحسن ان ابا بكر لما غدا الى السوق فنعه عمر « قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق . قال سبحان الله يشغلني عن عيالي . قال نفرض بالمعروف . قال : ويحَ عمر اني أخاف ان لا يسعني ان آكل من هذا المال شيئاً . فأنفق سنتين وبعض أخرى ثمانية آلاف درهم فلما حضره الموت قال : قد كنت قلت لعمر اني اخاف ان لا يسعني ان آكل من هذا المال شيئاً فقلبني فاذا انا مت خذوا من مالي ثمانية آلاف درهم وردوها في بيت المال . فلما أُتيَ بها عمر قال : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً

﴿ شبهات المسيحيين . وحجج المسلمين ﴾

« النبذة الحادية عشرة — عصمة الانبياء والخلاص »

(ليسَ بأمانيكم ولا أمانيّ أهلِ الكتاب ، من يعملْ سوءاً يُجزَ به ولا يجدْ له من دونِ الله ولياً ولا نصيراً * ومن يعملْ منَ الصالحات من ذكرٍ أو أنثى وهوَ مؤمنٌ فأولئكَ يدخلونَ الجنة ولا يظلمونَ نقيرا)